جرائم اليهود وقبائحهم

د. سامر مظهر قنطقجي

الجريمة هي كل فعل مستهجن من قبل كل عاقل سويّ، كجريمة السرقة والقتل والاحتيال وغيرها من الأفعال المشينة وغير المستحسنة. أما أسباب الجرائم فكثيرة، يجمعها الضرر والإضرار، ومن الأسباب ما هو عام؛ كالأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومنها ما هو خاص، كضعف الوازع الديني أو الأخلاقي أو القانوني، وضعف الروابط الأسرية، ومنها ما يخص مرتكب الجريمة نفسه، كالكره والحقد والحسد والغيرة، وحب السيطرة، والفضول، والمغامرة.

لقد اشتهر اليهود عبر التاريخ الإنساني بكثرة جرائمهم، وكثرة تكرارها، فصاروا مثالاً للقُبح والنفاق والشقاق والعناد، بسبب سلوكياتهم المنحرفة والمستهجنة، وقد جعلوا تلك السلوكيات عقيدة يؤمنون بها، ويورّثونها لمن بعدهم جيلاً بعد جيل، ليسيروا خلف بعضهم كالقطيع الأرعن، يزوّر كُبراؤهم وأعيانهم لأتباعهم الأدلة ويزيفونها، ليقلدوهم ويسيروا على نهجهم.

وقد ذكر القرآن الكريم اليهود مراراً، موضّحاً جدالاتهم وإشكالياتهم، خاصة مع الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه. وقد أجملت الآيات في سورة النساء ١٥٣–١٦١ جرائم اليهود وآثامهم، فذكرت أحد عشر ذنباً، بعد أن مهدت الآيات اشتراك الكافرين، بالتفريق بين الله ورُسله، مُدّعين الإيمان ببعض الرسل والكفر بالبعض الآخر، ليجعلوا من هذا التفريق سبيلا لتبرير كُفرهم.

لكن الله شهد عليهم بأنهم الكافرون حقاً، فجعل كفرهم حقيقة مطلقة أكدها بقوله: (**حَقًّا**)، ووعدهم بعذاب مُهين، وجعل تعالى التمييز بين المؤمنين والكافرين، بأن المؤمنين لا يفرقون في إيمانهم بين الله ورُسله، ووعدهم بالأجر وهو الغفور الرحيم، كما وعد الكافرين بعذاب أليم في الآخرة.

وبعد تلك المقدمة التوضيحية التي ميّزت فريق المؤمنين عن فريق الكافرين، شرعت الآيات التاليات بذكر جرائم أهل الكتاب عامة بسؤالهم نبي الله أن يُنزِّل عليهم كتاباً من السماء، وكذلك فعل اليهود، بل فعلوا أكثر من ذلك، فكانت جرائمهم، كالآتي:

١. طلبوا رؤية الله جهرة، فعوقبوا بالصاعقة.

٢. اتخذوا العجل رباً، ثم عفي عنهم.

٣. قيل لهم لا تعدوا في السبت، فعدوا.

٤. نقضوا الميثاق الغليظ الذي أبرموه مع الله تعالى.

٥. قتلوا الأنبياء.

٦. ادعوا أن قلوبهم غُلف، فطبع الله عليها بكفرهم. فصار المؤمنون منهم أقلة.

٧. اتهموا مريم عليها السلام بهتانا، وادّعوا قتل المسيح عليه السلام، وما قتلوه.

٨. ظلموا أنفسهم، فحرّم الله عليهم طيبات كانت حلالاً لهم.

٩. صدّوا عن سبيل الله.

١٠. أخذوا الربا، وقد نُهوا عنه.

١١. أكلوا أموال الناس بالباطل.

لأجل ذلك أعدَّ الله تعالى للظالمين منهم في الآخرة، عذابًا أليمًا.

قال تعالى في سورة النساء:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ
وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا
١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ١٥٢ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ
أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ
وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا
تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ
بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ
مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا
١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾

يُستنبط من الآيات الكريمة، أن ظلم اليهود ظلمان:

- **الأول**، اعتداؤهم على جنب الله تعالى، لفساد قلوبهم، وما لحق بها من أعمال، وقد عددتها الآيات الكريمة: ١٥٠-١٦٠.
- **الثاني**، ظلم واقع على العباد خصتها الآية الكريمة ١٦١، تمثلت بأخذهم الربا، وأكلهم لأموال الناس بالباطل.

وعليه فظلم اليهود الواقع على العباد يتصف بأنه ذو أثر مالي، ويتجلى في سلوكين:

- أخذهم الربا، والأخذ أعم من الأكل[1] لأنه يشمل كل ما أخذ الربا لأجله، أما الأكل فأشد، لأن فيه أعظم الانتفاع، كقوله تعالى: **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا** (البقرة: ٢٧٥).
- أكلهم لأموال الناس بالباطل، وهذا أشمل وأعم لأنه يشمل أخذ الربا، والباطل هو كل ما خالف الشرع وأُخذ بغير الحق، كالغش، والكذب، والخيانة، والرشوة، وكتم الحق، وغير ذلك.

جاء في تفسير ابن عرفة[2]: الفارق بين السلوكين أن أخذ الربا يكون برضى المأخوذ منه واختياره، وأكل المال بالباطل لا يكون إلا غصبًا أو نحوه من غير رضاه به، فمعلوم أنه منهي عنه؛ لأنه مما أجمعت الملل على تحريمه ،وتحريم الربا خفي، فاحتيج إلى ذكر المنهي عنه.

جاء في زهرة التفاسير[3]: كان الظلم الأول موضعه القلب والاعتقاد، وما ينبعث من أفعال شاذة فيها اعتداء على رسل الله تعالى وأنبيائه، فالاعتداء فيها كان على جنب الله تعالى والفساد كان في القلوب، وفي الأعمال التي تتعلق بها. أما الظلم هنا فهو واقع على العباد.

---

[1] تفسير محمد بن صالح ابن عثيمين، تفسير الآية (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم..): قد يأخذ الإنسان الربا وينفذها في غير الأكل، وقد يأخذها للأكل، موقع يوتيوب، رابط.

[2] ص ٧١ - كتاب تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة - المكتبة الشاملة، رابط

[3] محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير - تفسير سورة النساء - تفسير قوله تعالى وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل- الجزء رقم ٤، موقع المكتبة الشاملة، رابط.

جاء في تفسير القرطبي للآية ٢٧٥ من سورة البقرة: الذين يأكلون الربا (**يَأْكُلُونَ**)؛ يأخذون، فعبَّر عن الأخذ بالأكل؛ لأن الأخذ إنما يُراد للأكل. والربا في اللغة الزيادة مطلقًا، يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد، ... وقياس كتابته بالياء للكسرة في أوله، وقد كتبوه في القرآن بالواو. ثم إن الشرع قد تصرف في هذا الإطلاق فقصره على بعض موارده، فمرة أطلقه على كسب الحرام، كما قال الله تعالى في اليهود: **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ** (النساء: ١٦١). ولم يُرِد به الربا الشرعي الذي حكم بتحريمه علينا وإنما أراد المال الحرام. كما قال تعالى: **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** (المائدة: ٤٢)؛ يعني به المال الحرام من الرشا، وما استحلوه من أموال الأميين حيث قالوا: **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** (آل عمران: ٧٥). وعلى هذا فيدخل فيه النهي عن كل مال حرام بأي وجه اُكتسب.

جاء في زهرة التفاسير: بين سبحانه وتعالى عقابهم بقوله: (**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**)؛ أي بسبب هذه المظالم في الدنيا لا يُكتفى بحرمانهم الجزئي فيها، بل لابد للكافرين من عقاب شديد مؤلم في الآخرة، وقد ذكر وصف الإيلام في العذاب، للإشارة إلى أنهم إن كانوا يتمتعون في الدنيا كما تتمتع الأنعام، ويرتعون كما ترتع، فذلك إلى أمد قصير. إن أولئك الماديين الذين فسدت ضمائرهم وضعفت عقائدهم، وأصبحوا لا يؤمنون إلا بالدنيا، ويقولون إن هي إلا حياتنا الدنيا نلهو ونلعب وما نحن بمبعوثين. يكون منهم دائما الاستهانة بحقوق غيرهم وينشرون اللهو والعبث والمجون، وتكون الدنيا متعتهم وتكون هذه المتعة غايتهم، ومطلبهم، فلا يذكرون أن وراء هذه المتعة آلامًا، ووراءها عذابًا أليمًا، فليذكروا ذلك، وإن ربك لبالمرصاد. وليسوا جميعا على هذا النحو، ولذلك قال في العقاب للكافرين منهم، فكل طائفة فيهم الخير والشر، واليهود مع ما كانوا عليه في الماضي كان منهم المؤمنون، وإن كانوا قلّة.

ومازالت هاتان المظلمتان قائمتين وستبقيان إلى قيام الساعة، فضلاً عن استمرارهم في قتل وتكذيب من يخالف منهجهم، للصدِّ عن السبيل القويم.